أثر مشاهدة التلفزيون على القيم الثقافية والاجتماعية لدى الأطفال

د. عبد الله بوجلال
جامعة الأمير عبد القادر ـ قسنطينة

يعتبر التلفزيون من المصادر الرئيسية التي يتعرض لها الأطفال والتي تؤثر في تكوينهم وبلورة فكرهم، فهو الذي يعرض عليهم مختلف المواد والبرامج ويعرفهم بحياة البالغين، ويعطيهم صورة عامة وانطباعا شاملا عن المجتمع كله، ويتم ذلك في أشد فترات تكوينهم ونموهم حرجا، حيث يدخل التلفزيون حياة الأطفال في بداية إدراكهم السمعي البصري ونضج جسمهم العضوي بالإضافة إلى بداية تفتح قدراتهم على التمييز بين الأشياء.

ويشاهد الأطفال التلفزيون في سنواتهم المبكرة، بإعجاب شديد وبشكل شديد الانتظام، وتؤثر نوعية اتجاه الكبار نحو استعمال التلفزيون، من حيث اختيار البرامج، وكمية الوقت الذي يقضونه في المشاهدة والجو النفسي للعائلة أثناء المشاهدة، على الأطفال، إذ يتسم الأطفال الذين ينشأون في عائلات يحسن أفرادها الكبار الاختيار الواعي للبرامج ومراعاة قضاء الوقت المناسب للمشاهدة، بنفس الاختيار للبرامج والوقت المناسب للمشاهدة[1].

وإذا كانت علاقة الأطفال بالتلفزيون شديدة التعقيد وكثيرة التشعب فإننا سنحصر اهتمامنا في هذا الموضوع على جانب واحد منها فقط، وهو تأثيرات مشاهدة برامج التلفزيون على القيم الثقافية والاجتماعية لدى الأطفال. فما هي

---

[1] أحمد فؤاد درويش، سينما الأطفال القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979، ص 113ـ114.

أنوع وأشكال وأبعاد تأثيرات مشاهدة برامج التلفزيون على القيم الثقافية والاجتماعية لدى الأطفال؟ وكيف تحدث هذه التأثيرات؟ وماهي العوامل والمتغيرات التي تدعم تلك التأثيرات ؟

قبل الإجابة على هذه التساؤلات والدخول في الموضوع يستحسن تحديد مفهومي القيم والتأثير.

أولا : مفهوم القيم

القيمة فكرة يعتقد بها الإنسان ويعتنقها وتجعل منه إنسانا أو مواطنا صالحا متكيفا مع جماعته أو مجتمعه. ولذلك يطلق على مثل هذه القيم تعبير "القيم الاجتماعية" لأنها تنشأ من احتكاك الأفراد ببعضهم أو اتصالهم ببعض في جماعة أو في مجتمع. فالقيم هي "الصفات الشخصية التي يفضلها أو يرغب فيها الناس في ثقافة معينة"[1]. ولهذا كانت القيم تتصل اتصالا مباشرا بثقافة المجتمع، فالعادات والتقاليد والأعراف تصنعها القيم في أي مجتمع، ومن هنا كانت القيم مكتسبة "وكلما كانت القيم ذات عمق واضح، تم اكتسابها دون وعي، وتصبح من موجهات السلوك دون إحساس مشعور به"[2].

ولما كانت القيم في طبيعتها من موجهات السلوك، فهي أيضا لها صفة العمومية لجميع الأفراد داخل المجتمع أو الجماعة، حتى ولو فشل بعض الأفراد في تحقيقها في سلوكهم أو أفعالهم، ومن طبيعة القيم أيضا أنها ملزمة أو لها صفة الإلزام الاجتماعي على كل أفراد المجتمع أو الجماعة، كما أنه أيضا يمكن اعتبارها من عوامل التغير الاجتماعي والثقافي... وذلك عندما يحدث تغير عام في المجتمع نتيجة لعوامل أخرى، فإن القيم لا بد أن تتغير لكي تتلاءم مع التغير الذي حدث في

---

[1] محمد عاطف غيث، مقدمة في علم الاجتماع، القاهرة : دار المعارف بمصر، 1962، ص 137.

[2] المرجع السابق، ص 137.

المجتمع، فعلى سبيل المثال، فإن التغير التكنولوجي الذي يحدث الآن في المجتمع، لابد أن يؤدي إلى تغير نسق القيم الموجودة في المجتمع في نفس الوقت[1].

ومن أهم التعاريف التي نالت اتفاق معظم المنظرين في العلوم الاجتماعية تعريف كل من "كلوكهوهن" وتعريف "روكايتش". إذ يعرف كلوكهوهن Kluckhohn القيمة بأنها "مفهوم ضمني أو صريح، مميز من مميزات الفرد أو خاصية من خصائص الجماعة حول ما هو مرغوب فيه والذي يؤثر على اختيار أنماط ووسائل وأهداف الفعل"[2].

أما "روكايتش Rokeach" فيعرف القيمة بأنها اعتقاد ثابت نسبيا على أن أنماطا محددة من السلوك وأهدافا غائية تكون شخصيا واجتماعيا مفضلة على نقيضاتها من أنماط السلوك والأهداف الغائية الأخرى"[3]. ويبدو من هذا التعريف الأخير أن "روكايتش" يميز بين نوعين من القيم : النوع الأول وهو القيم الغائية والأهداف النهائية التي يسعى الفرد إلى تحقيقها كالحرية والاحترام الذاتي والحياة المريحة، والنوع الثاني : هو القيم الوسائلية أو الأنماط السلوكية المتبعة لتحقيق الأهداف الغائية (كالجدارة، والشجاعة، والطاعة)[4].

وعرف كثير من علماء النفس أمثال "ميرفي"، و"نيوكمب"، و"تولمان" و"دروف"، القيم تعريفات مختلفة تكمل بعضها بعضا، ومن خلال هذه التعريفات نقدم هذا التعريف للقيم : "القيم عبارة عن نظام معقد يتضمن أحكاما تقويمية إيجابية وسلبية تبدأ من القبول إلى الرفض، ذات طابع فكري، ومزاجي نحو الأشياء

---

[1] صلاح بيومي، التنشئة والشخصية : الطفل بين الواقع والمستقبل، القاهرة : سلسلة اقرأ، دار المعارف، 680، 2002، ص 102_103.

[2] عبد الحفيظ مقدم "القيم الاجتماعية في المجتمع الجزائري : دراسة مسحية" حوليات جامعة الجزائر، العدد : 6 الجزء الأول 1991_1992، ص 10.

[3] المرجع السابق، نفس الصفحة.

[4] المرجع السابق، نفس الصفحة.

وموضوعات الحياة المختلفة بل نحو الأشخاص، وتعكس القيم أهدافنا واهتماماتنا وحاجاتنا والنظام الاجتماعي والثقافة التي تنشأ فيها بما تتضمنه من نواحي دينية واقتصادية وعلمية.[1] ويمكن تعريف القيم تعريفا إجرائيا بأنها المعايير التي تحدد ما هو حسن ومرغوب فيه، وما هو مفضل، وهي التي توجه وتحدد السلوك والأهداف والاتجاهات".[2] وهي تعبر عن حاجات الفرد ورغباته، وتساعده على تحديد مدركاته وفهمه لنفسه أولا، ولغيره ثانيا. والقيم يكتسبها الفرد منذ صغره عن طريق التنشئة الاجتماعية في المدرسة والأسرة وفي المجتمع الحالي، أو عن طريق ملاحظاته لسلوك الآخرين، وفي كلتا الحالتين ترسخ القيم مع الزمن لتصبح مركبات أساسية في شخصية الفرد توجه سلوكه وتحدد أهدافه[3].

وتعتبر القيم فردية واجتماعية، فردية بمعنى أنها سلوك فردي بحت، واجتماعية بمعنى أنها تشكل وتؤثر في علاقات أفراد المجتمع بعضهم ببعض، وهي في النهاية : "مجموعة من المعايير والمقاييس المعنوية التي تنشأ بين الناس، ويتفقون عليها على نحو ما، ويتخذون منها موازين يزنون بها أعمالهم ويحكمون بها تصرفاتهم المادية والمعنوية"[4].

وتعتبر وسائل الإعلام والثقافة وفي مقدمتها التلفزيون من أهم عوامل البيئة الاجتماعية والفكرية والأخلاقية والسلوكية المؤثرة في تكوين القيم الثقافية والاجتماعية للأفراد والجماعات، ويأتي في طليعتهم الأطفال.

---

[1] محمود السيد أبو النيل، علم النفس الاجتماعي : دراسات عربية وعالمية سلسلة علم النفس رقم : 1 الجزء الأول، الطبعة الرابعة ؛ بيروت : درا النهضة العربية للطباعة والنشر، 1985، ص 229.

[2] عبد اللطيف مقدم، مرجع سابق، ص9.

[3] المرجع السابق، نفس الصفحة.

[4] مصطفى رجب، الإعلام التربوي في مصر : واقعه ومشكلاته، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989، ص 70.

ثانيا : مفهوم التأثير

يحدد مفهوم التأثير بأنه : "بعض التغيير الذي يطرأ على مستقبل الرسالة الإعلامية، فقد تلفت الرسالة انتباهه ويدركها، وقد تضيف إلى معلوماته معلومات جديدة، وقد تجعله يكوّن اتجاهات جديدة، أو يعدّل من اتجاهاته القديمة، وقد تجعله يتصرف بطريقة جديدة أو يعدّل سلوكه السابق"[1]، وتجدر الإشارة هنا إلى أن الاتصال عملية معقدة تتحكم فيها مجموعة متشابكة من العوامل النفسية والاجتماعية والحضارية ويحدث تأثير الإعلام من خلال هذه العوامل المتشابكة وهذه هي النظرية الحديثة في التأثير الإعلامي، أو ما يسمى أحيانا بالنظرية الوظيفية التي تقول بأن المضمون الإعلامي يعمل من خلال عناصر ومؤثرات وعوامل وسيطة[2].

ولذا كان علينا عند دراسة أثر التلفزيون على الطفل أن نقوم بتحليل المضمون الإعلامي وأثره على الميول والاتجاهات النفسية، ذلك لأن أية صلة بين وسائل الإعلام والسلوك العلني هي في الواقع محصلة لما يجري بطريقة غير مباشرة في المجالين النفسي والاجتماعي، ومن هنا يتضح لنا صعوبة أبحاث تأثير التلفزيون، لأن العوامل الكثيرة والمتنوعة والمتغيرات المتعددة، لا يمكن التحكم فيها جميعا، لأنها تتصل بشخصية الفرد الذي يستقبل الرسائل الإعلامية، وبالجماعات التي ينتمي إليها الأفراد، وبظروف أخرى كثيرة يصعب حصرها[3].

ويظهر أثر التلفزيون في عملية التنشئة والتطبيع الاجتماعي في النواحي الآتية:

أ ـ نشر معلومات متنوعة في كافة المجالات تناسب كل الأعمار.

---

[1] جيهان أحمد رشتي، الإعلام ونظرياته في العصر الحديث ؛ الطبعة الأولى، القاهرة : دار الفكر العربي، 1971، ص 206.

[2] إبراهيم إمام، الإعلام الإذاعي والتلفزيوني، القاهرة : دار الفكر العربي، 1979، ص 128.

[3] المرجع السابق، ص 128ـ129.

ب ـ إشباع الحاجات النفسية مثل الحاجة إلى المعلومات والتسلية والترفيه والأخبار والمعارف والثقافة العامة ودعم الإتجاهات النفسية، وتعزيز القيم والمعتقدات أو تعديلها والتوافق مع المواقف الجديدة.

جـ ـ تعليم أفراد المجتمع أساليب مختلفة في السلوك الفردي والاجتماعي في الظروف المختلفة، كما يوفر للإنسان معلومات لا تتوفر له في حياته العادية[1]، وفي علاقاته المباشرة مع غيره من الأفراد الذين يتعامل معهم.

ويقصد بآثار التلفزيون على الأطفال ما يحدث على معلومات الأطفال وممارساتهم الحياتية وسلوكاتهم الاجتماعية من تغييرات إيجابية أو سلبية نتيجة لما يشاهدونه من برامج تلفزيونية على اختلاف صيغها. وعند معالجة آثار التلفزيون على الأطفال فإنه ينبغي تناول طبيعة كل من التلفزيون والأطفال في آن واحد. فمثلا عندما يقال أن برامج التلفزيون مشوقة ونافعة ومفيدة يعني ذلك أن لهذه البرامج صفات معينة تجلب النفع والفائدة للأطفال الذين يشاهدونها.

لذا فعند الكلام عن آثار التلفزيون فإننا نقصد الطريقة التي بها يستعمل الأطفال التلفزيون، فالطفل له حاجات نفسية واجتماعية متعددة، يرى إشباعها بشتى السبل، وعند استعماله للتلفزيون يبحث ويركز على البرامج التي تسد حاجاته وتنطبق مع ميوله واتجاهه، فعند محاولة فهم آثار التلفزيون يجب فهم ودراسة ظروف هذه الآثار، ولفهم ظروف هذه الآثار، لابد من الحصول على معلومات كثيرة ومتنوعة عن حياة وتربية وسلوك الأطفال التي تزودهم بخبر وتجارب معينة، وتملي عليهم مقاييس وحاجات نفسية كثيرة، وتجد لهم علاقات اجتماعية وسلوكا اجتماعيا له الفضل الكبير في بناء شخصياتهم[2].

---

[1] اتـــحـــاد الإذاعة والتلفزيون، مجلة الفن الإذاعي، عدد : 88 يوليو 1980، القاهرة، ص 24ـ25.

[2] إحسان محمد الحسن، "أثر التلفزيون على الأطفال"، مجلة الإذاعات العربية، العدد : 57، يوليو، 1974، ص 66.

ولقد تعددت الدراسات والبحوث لتقصّي أبعاد تأثيرات التلفزيون على نمو الأطفال بمختلف مراحلهم العمرية، وقد أصبحت هذه المشكلة مدار نقاش حاد في العالم، وبالأخص في الدول النامية التي تعمل على استعادة قيمها وشخصيتها الحضارية في فترة خطيرة احتكرت فيها المؤسسات الإنتاجية التلفزيونية والسينمائية في العالم بث برامج تهدف إلى نسف العادات والقيم الحضارية للمجتمعات التقليدية واستبدالها بقيم هجينة جديدة تسودها الأنانية الاجتماعية وتموت فيها القيم الثقافية[1] الإيجابية ذات الطابع الإنساني.

وبدون شك فإن تأثير هذه البرامج التي لا تتوافق والقيم المحلية الأصلية ليس مرتبطا بتأثير التلفزيون وحده، وإنما هناك عوامل نفسية واجتماعية أخرى تساعد على تأكيد هذه الآثار، إلا أن برامج التلفزيون تستطيع أن تلعب دورا أساسيا إذا أحسن استعمالها وتخطيطها في إسراع التطورات الثقافية والاجتماعية، كما أنها تستطيع أيضا أن تلعب دورا سلبيا إن لم يحسن تخطيطها وقد تساعد على إسراع تشويه العلاقات الاجتماعية والثقافية وبالتالي إضعافها وتخريبها[2].

ويذكر الدكتور "براين ولسون"، وهو عالم اجتماع، بعض الآثار التي يتركها التلفزيون على المواقف والقيم الأخلاقية والاجتماعية والنفسية للأفراد الذين يشاهدونه، فالتلفزيون يلعب دورا مهما في تغيير قيم الأفراد وآرائهم حول الجرائم ويزودهم بمجموعة من القيم والمقاييس الجديدة التي بها يستطيعون تقييم الحوادث وتصنيفها وتمييز العمل السوي عن العمل الشاذ ويضيف "ويلسون" قائلا أن التلفزيون دائما يضخم مجال وتكرار الجريمة ويركز على الحوادث العنيفة واستعمال القوة في جل الأمور، ويشجع هؤلاء الأفراد الذين لديهم الطاقة الكامنة بالاندفاع

---

[1] د. نـــواف عدوان "الأطفال وبرامج التلفزيون" مجلة البحوث العدد الثامن عشر ايلول (سبتمبر) 1986، ص 19.

[2] المرجع السابق، ص 20.

تجاه الجريمة والانحراف بالمضي في تيار الشذوذ والانغماس في حوادث الإجرام والانتقام لكي يشبعوا غرائزهم اللااجتماعية واللاأخلاقية[1].

إن تقدير الأثر البعيد المدى للتلفزيون على المجتمع فيما يختص بالعنف والجريمة أمر صعب، إذ وجدت إحدى لجان بحوث التلفزيون في الولايات المتحدة أنه لا توجد أدلة مباشرة عن زيادة عامة في العنف كنتيجة لمشاهدة التلفزيون، ولكن من ناحية أخرى وجدت أن الأفراد العدوانيين وسيئي التوافق يعتبرون العنف على شاشة التلفزيون أمر مثير للدهشة والإعجاب، وأنهم أكثر احتمالا لأن يستجيبوا استجابة عدوانية للموقف المشابه بعد ذلك.

ومما ينبغي الإشارة إليه هنا هو أن التلفزيون ليس السبب الأوحد في حدوث الجرائم والمشاكل الاجتماعية التي يتعرض لها المجتمع، فهذه المشاكل كانت موجودة في معظم المجتمعات الإنسانية قبل وجود التلفزيون، وكان ينظر إليها بأنها أشياء طبيعية لابد من حدوثها في المجتمعات المعقدة، بيد أن التلفزيون يساعد في بعض الحالات على بث وانتشار الإجرام والانحراف بين المواطنين، والأطفال الذي لديهم نوع معين من التربية الأخلاقية، ومعرضين لتأثيرات سلبية مشتقة من الوسط الاجتماعي الذي يعيشون فيه، ويعني هذا أن هناك أسبابا اجتماعية ونفسية وحضارية وثقافية معقدة تجعل من الفرد شاذا "بطبيعته وسلوكه وتصرفاته وليس وجود التلفزيون هو السبب في ذلك.[2]

ومن الأسباب التي تبلور شخصية وسلوك الطفل والفرد اكتسابه مجموعة من المعلومات والخبر والتجارب من بيئته الاجتماعية واحتكاكه مع الغير، وحصوله على صور وانطباعات عقلية ذهنية لها الأهمية في تفسير الحوادث والأشياء المحيطة به مع اعتقاده بمجموعة من القيم والمقاييس التي تعلمها من وسطه الاجتماعي، كما أن

---

[1] إحسان محمن الحسن، مرجع سابق، ص 69.3

[2] عبد الرحمن عيسوي، الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون العربي، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979، ص 69.

طبقته الاجتماعية والجماعات والمؤسسات الاجتماعية التي ينتمي إليها دائما تزوده بخصائل وصفات معينة من الأخلاق والسلوك والمبادئ والغايات التي هي سبب حركته ونشاطه واتصاله مع الآخرين[1].

وإذا كانت الأسئلة والبيانات التي تدور حول "أثر التلفزيون في الأطفال والتلفزيون في المراهقين" كسبب من أسباب بعض أنواع السلوك"، تسلط الضوء على التلفزيون وتجعله، من البداية، هو السبب في أي اتجاه أو سلوك يكون موضوعا للدراسة فإن النقاش حول تأثير التلفزيون ووسائل الإتصال بوجه عام يجري على مستوى ضعيف، كما يقول "جميس.د. هالوران" ويرجع هذا بكل بساطة إلى أن الناس قلما يسألون الأسئلة الصحيحة، لأن الذين يوجهون الأسئلة ويدلون بالبيانات ومنهم كثيرون يدعون أنهم علماء اجتماعيون) يبحثون في نطاق نماذج محدودة لكل من المجتمع وعملية الاتصال، ولكننا إذا استخدمنا نموذجا أنسب ومعلومات أدق يتبين لنا أن التلفزيون ليس هو السبب الوحيد في ذلك بل هو سبب من أسباب متعددة، منها وسائل الاتصال الأخرى (كالأسرة والمدرسة...الخ) التي تسهم في تكوين السلوك المذكور، وتلعب دورا في التربية الاجتماعية للطفل[2].

ولا شك أن التلفزيون قوة هامة لها حسابها وشأنها، ولكن في العادة ليس سوى قوة واحدة من بين عدة قوى تتفاعل بطريقة معقدة في تكوين الطفل، ومع ذلك فإن التأكيد على هذه الحقائق لا يعني إنكار أن للتلفزيون تأثيرا خاصا، بل على العكس من ذلك قد يتقمص الأطفال النماذج والشخصيات التي يعرضها التلفزيون، ويقلدون ما يرونه على الشاشة، ومن الواضح أنهم يتعلمون من التلفزيون بصورة مباشرة، وغير مباشرة كما يتعلمون من المصادر الأخرى، ولكن التلفزيون

---

[1] إحسان محمد الحسن، أثر التلفزيون على الأطفال، مرجع سابق، ص 70.

[2] جيمس د. هالوران، "أضواء على التلفاز وآثاره: رسالة اليونسكو"، العدد 214، مايو 1979، ص5ـ6.

قلما يعمل بمعزل عن غيره من العوامل ومن وسائل الاتصال، ذلك أن معظم المجتمعات ليست متجانسة، فهي مؤلفة من طبقات مختلفة بوجه من الوجوه، ثم أن الأطفال ـ بالإضافة إلى الفروق الأساسية في تكوينهم ـ ينشأون في ظروف اجتماعية مختلفة، ويرون أشخاصا مختلفين، ويكتسبون تجارب مختلفة، وتتاح لهم فرص مختلفة، ولذلك فإنهم عندما يشاهدون التلفزيون يحكمون عليه بالمعايير التي اكتسبوها من مجموعة التجارب الماضية والعلاقات الحاضرة، والآمال المستقبلية. ومن هنا لم تكن القضية هي ما يفعله التلفزيون بالأطفال، ولكن هي : ماذا يفعل الأطفال بالمادة التي يعرضها التلفزيون عليهم[1] ؟.

وتدل البحوث على أنه من الخطأ أن نتحدث عن وجود اتصال جماهيري ولذلك كان من الخطأ القول أن هناك اتصالا جماهيريا بين الأطفال، وذلك لأن الأطفال يختلفون من وجوه عديدة، وأن ما يشاهدونه على شاشة التلفزيون يختلفون فيه أيضا، وفي تفضيلات المشاهدة، وكيفية الإصغاء، ويختلفون فيما يرونه، وكيف يفسرونه، وفيما يتذكرونه ويستعيدونه، وفي كيف تتفق وسائل الإتصال مع تجاربهم ومعلوماتهم الأخرى، كل ذلك يتأثر بعوامل أخرى، منها مرحلة نمو الطفل، ودور والديه، وتوافر المعلومات الأخرى، والمصادر البديلة، واتجاهات النظراء والحاجة إلى التعبير والبحث عن المعنى وغير ذلك...

وما يهم هو التأكيد على أن تأثير التلفزيون وفهم دوره في تربية الأطفال يتجاوز ما يعرف عن طريق البحوث التقليدية التي تركز اهتمامها في الكلام عن آثار التلفزيون على عنصر المحاكاة والاقتداء، والتفسير وغيرها[2].

وقد تبين من نتائج دراسة قامت بها "نادية شكري"، حول أثر التلفزيون على تلاميذ المدارس الابتدائية في مصر، أن آثار التلفزيون لا تكون متماثلة في جميع

---

[1] جيمس د. هالوران، "أضواء على التلفاز وآثاره: رسالة اليونسكو"، ص 6.

[2] المرجع السابق، ص 6.

التلاميذ، إذ أن لكل طفل شخصيته الفريدة وذاتيته الخاصة به، وأشارت إلى أن أثر التلفزيون يقل تدريجيا كلما تقدم التلميذ في السن والمستوى الدراسي، ويعود ذلك إلى نمو تفكير الطفل، لأنه يقابل اتصالات ذهنية أعمق وأكبر وتفتح أمامه آفاقا جديدة من الخبرات والمعارف[1].

ومن خصائص التلفزيون الهامة التي يغفلها الناس غالبا، هي أن الصور والأصوات التي يقدمها التلفزيون، وإن كانت مشابهة للحقيقة والواقع تفتقر إلى عنصر التفاعل والاستجابة الذي نحس به في الاتصال المباشر بالعالم الحقيقي ذلك أن التلفزيون يقدم اتصالا في اتجاه واحد أي من الجهاز إلى المشاهد، ومن هنا انعدم التفاعل بين التلفزيون والمشاهد وبالنسبة للطفل نجد أن استجابة الوالدين وتفاعلهما مع غيرهما من الكبار والأطفال من حولهما أمر على جانب كبير من الأهمية لكي يفهم الطفل العالم، ويندمج في المجتمع، ولاشك أن ما دأبت عليه المرأة ـ خاصة العاملة ـ من استخدام التلفزيون كمربية تحل محلها، ليشغل الأطفال ويحملهم على الهدوء، من شأنه أن تحرمهم من عامل هام من عوامل التربية الصحيحة.

ويشير "جورج جيربنر" Georges Gerbner في هذا الصدد إلى أن التلفزيون الأمريكي يقدم للأشخاص المشاهدين له صورة مشوهة لعالم الواقع، إذ تبرز برامج العنف للأفراد المشاهدين لها عالما أكثر عنفا وأكثر خطورة من الواقع المعيش، إذ تقدم الرجال ثلاثة مرات أكثر من النساء، وتقدم المرأة كمخلوق ضعيف ومستسلم وخاضع للرجل القوي، وتقدم نسبة من الأشخاص الذين يبلغون من العمر أكثر من 65 سنة أقل من حجمهم ضمن المجتمع الواقعي، وأن الأشخاص المشاهدون كثيرا في البرامج الأمريكية هم الأطباء والمحامون والرياضيون والفنانون في الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك بأحجام ونسب مبالغ فيها[2].

---

[1] مظفر مندوب، التلفزيون ودوره التربوي في حية الطفل العراقي دائرة الشؤون الثقافية والنشر 1983، ص 21.

[2] Hamid Moulana « La circulation internationale de l'information : Analyse et bilan ». Etudes et documents d'information, N° 99. UNESCO, P 37.

وبالإضافة إلى ذلك فإن مشاهد الجرائم المقدمة في التلفزيون الأمريكي تبلغ عشرة أضعاف الجرائم الموجودة في الحياة الواقعية[1].

أما "جيمس د. هالوران" J. Halloran فقد قام بدراسة مع عدد آخر من رجال الإعلام وخبراء وسائل الاتصال في بريطانيا ونشرت بعنوان "تأثير التلفزيون"، وقد كان المنطلق العام "لهالوران" أن الهيئات ومنها التلفزيون تنشأ عادة وتتطور وتنتهج سياسة معينة وترسل برامجها في ظل نظم سياسية معينة، وفي الوقت نفسه فإن المشاهدين يشاهدون تلك البرامج وينفعلون بها، ويكوّنون ردود فعل معينة إزاءها على أساس اتجاهات وعلاقات قائمة بالفعل داخل تلك الأنظمة، ولهذا فسواء انصب اهتمامنا على تأثير التلفزيون الضار في تقديمه لمشاهد العنف والجريمة، أو علاقة التلفزيون بوسائل الإعلام الأخرى، أو على التدفق الحر للمعلومات، أو على تشجيعه للسطحية والمواد الهابطة والتافهة، أو على الدور الذي يلعبه في التنمية القومية، فإننا يجب أن ندرس الدور الذي يؤديه داخل الإطار السياسي والاجتماعي والاقتصادي الواسع للمجتمع، وهنا نكرر أن التلفزيون لا يعمل في فراغ ولذا ينبغي أن لا ندرسه في معزل عن عوامل أخرى كثيرة[2].

ويرجع "إنريكو فوليشينيوني" Enrico. F فعالية التأثيرات التي يحدثها التلفزيون على نظام القيم والأخلاق إلى الأسباب الآتية[3] :

1 ـ يصل التأثير النفسي للتلفزيون إلى أعلى درجة وذلك لأن نفس القيم ونفس وجهات النظر تتكرر في حلقات البرامج.

2 ـ أن هذه القيم المقدمة تقدم في شكل درامي مؤثر.

3 ـ أن هذه القيم مرتبطة بمصالح وحاجات المشاهدين.

---

(1) Ibid, P 37.

(2) المرجع السابق، ص 67ـ68.

(3) Enrico Fulchignoni, la civilisation de l'image, traduit de l'italien par G.Grescenzi et E. Darmouni petite bibliothèque. Payot , Paris N.D; P 270.

إن دراسة تأثير التلفزيون في الاتجاهات والقيم والسلوك الاجتماعي لا يأتي بدراسة التلفزيون وحده بل بدراسة تكوين الاتجاهات، وكيف يتأقلم الأطفال في المجتمع الذي يعيشون فيه، ودراسة أيضا التكيف الاجتماعي الذي يشمل التكيف المباشر وغير المباشر، والتعليم واكتساب القيم والاتجاهات. ويمكن اقتفاء أثر التلفزيون بعدة طرق، فنجد أن التلفزيون يعلم أفراد المجتمع أساليب مختلفة في السلوك الفردي والاجتماعي في مختلف الظروف ويوفر للإنسان معلومات لا تتوفر له في حياته العادية، ويلعب دورا إيجابيا أو سلبيا في عملية التكيف الاجتماعي التي ساهمت فيها أجهزة الإعلام الأخرى من قبل.

ويسهم التلفزيون في تغير المعرفة والإتجاهات لدى الأطفال سواء عن طريق تقديم الرسائل الإعلامية بشكل مباشر، أو عن طريق تقديمها بأساليب غير مباشرة، أي من خلال التقديم الدرامي من الذكي الذي من شأنه أن يثير ردود فعل عاطفية لدى المشاهدين.

ولا يحدث هذا التغيير عادة إلا بتوافر شروط عديدة ومتداخلة، منها[1]: توازن الأفكار التي تبثها الرسالة الإعلامية المقدمة وما لجهاز الإعلام أو محطة التلفزيون من مكانة في نفوس مشاهديه، وكذلك مدى جاذبية مقدم البرنامج، ونوع الرسالة الموجهة (سواء كانت عاطفية أو تخاطب العقل)، فكل هذه الشروط تلعب دورها الهام في تحديد فاعلية أي اتصال إعلامي، ويطرأ التغيير على الاتجاهات الاجتماعية أو السلوكية بعد مشاهدة البرامج التلفزيونية نتيجة لعدة عوامل منها : نوعية وطبيعة الموضوعات المقدمة، وشخصية كل مشاهد على حدة، وجاذبية الشخصيات التي يقدمها التلفزيون.

وعلى الرغم من أهمية دور التلفزيون في المجال الثقافي والمعرفي وفي تغيير الإتجاهات والسلوكات، إلا أن هناك بعض العوامل تجعله يقوم بدور سلبي في هذه

---

[1] اتحاد الإذاعات العربية، "دور الإذاعة والتلفزيون والتنمية الوطنية" دراسات وبحوث إذاعية العدد السابق، ص 68_69.

الأمور، خاصة تجاه الأطفال ومن بين تلك العوامل التي تجعل التلفزيون يقوم بدور سلبي العوامل الآتية[1] :

أولا : ظاهرة المحاكاة لأنماط غير ملائمة لظروف المجتمع، مما يؤدي إلى غياب المفهوم الثقافي في مجموع البرامج التلفزيونية ومحتوياتها المناقضة للثقافة، خاصة إذا كانت المحاكاة لأنماط إنتاج التلفزيون التجاري.

ثانيا : عدم وضوح الأهداف الأساسية للسياسة الثقافية التي ينتهجها التلفزيون واستخدامها لتحقيق أهداف أخرى.

ثالثا : ظاهرة الغزو المضاد للثقافة الوطنية الذي يتسرب من خلال التلفزيون، ويتضح ذلك من استعراض بعض البرامج الثقافية التلفزيونية، وبعض المسلسلات والأفلام الأجنبية التي قد تستورد دون مراعاة لأثرها السلبي.

رابعا : انعدام التوازن في الخدمات التلفزيونية الثقافية، وعدم توزيعها توزيعا عادلا وملائما بين المدن والقرى، وبين مختلف الفئات الاجتماعية داخل البلاد الواحدة.

وهناك عامل آخر يدعم الدور السلبي للتلفزيون ويتكامل معه وهو أن أشكال السيطرة الإعلامية الأجنبية لا تقتصر في مجال التلفزيون فقط، بل تشمل مجال توزيع المنتجات الثقافية والإعلامية الأخرى كالأفلام السينمائية والبرامج الإذاعية، والأخبار، والكتب والمجلات...، وغيرها، ومما لاشك فيه أن وسائل الإعلام في الأقطار النامية والعربية التي تعتمد على المواد المستوردة والمنتجة في بيئة ثقافية واجتماعية بعيدة عن بيئتها وثقافتها تحدث آثارا سلبية على جمهورها وخاصة الأطفال، وتشوه وعيهم وإدراكهم للقضايا الاجتماعية والحياتية وللعالم المحيط بهم. وقد تضاعفت هذه التأثيرات السلبية باستقبال هذه البرامج من القنوات الفضائية الأجنبية التي لا نستطيع مراقبتها أو منع استقبال الأطفال لها.

---

[1] اتحاد الإذاعة والتلفزيون، مجلة الفن الإذاعي، عدد : 88، يوليو 1980، القاهرة، ص 23.